(البحث السوسيولوجي بين براديغم الكم والكيف دراسة استطلاعية بقسم علم الاجتماع بجامعة تبسه)

أ/ بن دارنسيمة، جامعة عنابة

ملخص:

تسعى هذه الدراسة الى رصد واقع البحث العلمي السوسيولوجي بقسم علم الاجتماع جامعة تبسة في اطار دراسة استطلاعية على عينة من الاساتذة ،بمقاربة يتقاطع فيها الكم بالكيف من خلال الموضوعات الأساسية التي تثيرها الدراسات في علم الاجتماع واشكالية التكوين الذاتي للممارسات البحثية للباحث ،بالاضافة الى اشكالية الخطاب السوسيولوجي للدراسات الاكاديمية المنجزة بالجامعة بين الكم و الكيف ،فالبحث العلمي على مستوى الدراسات السوسيولوجية الاكاديمية بقدر مايطرح اشكالية الكم و الكيف ،فانه يوضح مدى اتساع الفجوة بين اشتغال السياسات البحثية و بين واقع حال المجتمع ،الامر الذي ينعكس بالسلب على كلا من المعطي المعرفي الاكاديمي و الممارسات البحثية للباحثين ،كما دلت على ذلك مؤشرات الدراسة .

الكلمات المفتاحية : الدراسات السوسيولوجية، براديغم الكم،براديغم الكيف

Abstract:

The aim of this study is to depict the reality of sociological research in the department of Sociology at the university of Tebessa, using a mixed method approach on a sample of teachers from the same department. The study aims to explore the following points: The main topics discussed in sociological research, The researcher's environment and its impact on his research practices,The sociological discourse and the main research methods used in sociological studies (quantitative /qualitative),The findings of the current research show that there is a discrepancy between the sociological problems (topics) dealt with in research and those in the real world, which is but a sign of the absence of a clear research policy. In addition, there is a prevalence of the quantitative over qualitative research methods in sociological studies which is not congruent with the main objective of sociological research namely,understanding sociological phenomena.

Key words : sociological studies- quantitative research- qualitative research-

مقدمة :

ان المعرفة العلمية, تلك المعرفة التي تشكل في مجملها أساس العقلية العلمية, أي العقلية التي تحتل فيها المعرفة المتصفة بالعلمية مكانة كبيرة، إذ غدت المعرفة العلمية قيمة في حد ذاتها ,لأنها القادرة علي حل مشكلات الواقع وإزالة العقبات التي تقف حائلا دون

تغيير وتطوير الواقع ومن ثم تقدمه ، لذا فان الحاجة الى الدراسات و البحوث الاكاديمية لهي اليوم اشد منها في أي وقت مضى، فالعلم و العالم في سباق للوصول الى اكبر قدر ممكن من المعرفة الدقيقة المستمدة من العلوم التي تكفل الرفاهية للانسان ، وتضمن له التفوق على غيره ،واذا كانت الدول المتقدمة تولي اهتماما كبيرا للبحث العلمي فذلك يرجع الى انها ادركت ان عظمة الامم تكمن في قدرات ابنائها العلمية و الفكرية و السلوكية ، لذلك يعد البحث العلمي ميدان خصب ودعامة اساسية لاقتصاد الدول وتطورها وبالتالي تحقيق رفاهية شعوبها و المحافظة على مكانتها الدولية ،وقد اصبحت منهجية البحث العلمي واساليب القيام بها من الامور المسلم بها في المؤسسات الاكاديمية و مراكز البحوث ، بالاضافة الى انتشار استخدامها في معالجة المشكلات التي تواجه المجتمع بصفة عامة .

اولا : الاطار الاشكالي للدراسة

يعرف المجتمع الجزائري اليوم كباقي المجتمعات تحولات كبيرة تهدد استقراره و تؤدي الى اضطراب مؤسساته و هو يحاول باستمرار التكيف مع نتائج هذه التحولات للحفاظ على بقائه من جهة و لمسايرة التطور من جهة أخرى لكن هذا الأمر يستوجب تظافر جهود مختلف المؤسسات و الممارسات ،فبوابة الخطورة في أي مجتمع هي بنيته، فإذا حدث خلل في بنيته ، فإن هذا يؤدي لإضعافه وانهياره،ولهذا تفيد دراسة العلوم الاجتماعية والإنسانية في مراجعة بنية المجتمعات مبكرا لفهم مواطن الضعف والخلل التي تهدد بنيته وتماسكه والتوصل لأفضل الأساليب لتقويتها، لتحقيق سلامة الفرد والمجتمع [1] .

فالعلوم الاجتماعية مطالبة اليوم أكثر من أي وقت مضى للقيام بدور اجتماعي أكثر أهمية في إطار هذه التحولات حيث يركز على العلاقات الاجتماعية و يسعى لكشف الحقائق في إطار تركيبات اجتماعية اقتصادية ثقافية و دينية ... قصد المساهمة في تطوير طرق التفكير و تغيير نوع العلاقات القائمة لمسايرة الوقائع لمحاولة إنتاج معرفة سوسيولوجية تجيب عن القضايا الاجتماعية المطروحة في المجتمع [2] ،فقد حاول العديد من الباحثين تشخيص وهن البحث العلمي في العلوم الاجتماعية في الوطن العربي فحصروه في جملة من المظاهر نذكر منها، على سبيل المثال وليس الحصر: سطحيته وانطباعيته، واعتماده على النظريات الغربية الجاهزة و تبعيته الفكرية، وانفصامه عن الواقع المعيش أو عدم تمكنه من الإلمام العلمي بالظواهر الاجتماعية المعقدة في المجتمع،وقد ذهب بعضهم إلى المناداة بضرورة قيام مدرسة عربية في العلوم الاجتماعية، لكن القليل منهم رأى أن علّة الوهن المذكور تكمن في المنهج المنتج للمعرفة، وهذا ما نلاحظه في التخبط الذي تعاني منه بعض البحوث الاجتماعية.....[3] ،فعلم الاجتماع و منذ تاسيسه ظل رهين نموذج ثنائية المنهج الكمي والكيفي، ورغم الاختلاف القائم بين هذين المنهجين إلا أن كلاهما مكمل للآخر،فرغم ما تعاني منه العلوم الاجتماعية من عوائق ابيستمولوجية، نذكر على سبيل المثال لا على سبيل الحصر، إشكالية الموضوعية، وتظاف إليها إشكالية المنهج المطروحة من خلال الثنائيات البارزة في هذا الشأن (نظري وتطبيقي)، (كمي و كيفي)...، فرغم الاختلاف القائم بين هذه الثنائيات إلا أن ليس هناك تفضيل منهج على آخر، لكل منهج وزنه حسب القضايا المطروحة، والإشكاليات السوسيولوجية المراد دراستها[4] ،اذن فالتسؤالات التي تبرز في سياق هذا الوضع تتمثل في : ما واقع البحوث

---

[1] مختار الهراس، دوريات العلوم الاجتماعية : مناهج ،مداخل ومقاربات ،المجلس العربي للعلوم الاجتماعية ، لبنان ،2015 ، ص 12 .

[2] محمد بامية، العلوم الاجتماعية في العالم العربي :اشكال الحضور،المجلس العربي للعلوم الاجتماعية ، لبنان ،2015 ، ص 9 .

[3] انظر التقرير الإقليمي لليونسكو عن "إنجازات التعليم العالي في البلدان العربية وتحدياته"، الصادر على هامش المؤتمر الإقليمي العربي حول التعليم العالي، المنعقد في القاهرة، في الفترة من 31/5-2/6/2009، ص 6. الرابط الإلكتروني للتقرير:

http://www.unesco.org/new/fileadmin/MULTIMEDIA/FIELD/Beirut/pdf/Regional_Report_on_Higher_Education_in_the_Arab_States__Arabic_-_Final_

أحمد زايد، علم الاجتماع بين الاتجاهات الكلاسيكية والنقدية، دار المعارف، القاهرة، 1984،ص 98

السوسيولوجية المنجزة بقسم علم الاجتماع جامعة تبسة ؟ كيف يمكن الاستاذ الباحث السوسيولوجي التموقع ضمن الثنائية المنهجية (معضلة الكم و الكيف) ؟

ويتحقق ذلك من خلال عدة أسئلة فرعية وهي :-

1- ما الموضوعات الأساسية التي تثيرها الدراسات في علم الاجتماع والنمط الغالب عليها من وجهة نظر أساتذة قسم علم الاجتماع بجامعة تبسة ؟

2- اشكالية التكوين الذاتي للممارسات البحثية للباحث بين النمطية و التجديد من وجهة نظر أساتذة قسم علم الاجتماع بجامعة تبسة ؟

3- اشكالية الخطاب السوسيولوجي للدراسات الاكاديمية المنجزة بالجامعة بين الكم و الكيف من وجهة نظر أساتذة قسم علم الاجتماع بجامعة تبسة ؟

4- ما أهم معوقات تطوير البحث السوسيولوجي من وجهة نظر أساتذة قسم علم الاجتماع بجامعة تبسة ؟

ثانيا :هدف البحث

يهدف البحث إلي استطلاع واقع البحث العلمي السوسيولوجي بقسم علم الاجتماع بجامعة تبسة من خلال اعادة النظر في بعض المعضلات المفاهيمية التي تواجه الممارسات البحثية لهذا التخصص ،بحيث نسعى في هذا الاطار الى القاء الضوء على التوجهات النظرية ذات العلاقة و كيفية التعامل معها من قبل الباحثين من خلال مسائلة اشكالية ثنائية (الخطاب السوسيولوجي و التكوين الذاتي للباحث) ،وذلك من خلال استطلاع رأى عينة من الاساتذة الباحثين العاملين في مجال علم الاجتماع بجامعة تبسة ، حول التصلب المفاهيمي الموجود و الذي يعمل على تراجع التطور المعرفي في الدراسات الاكاديمية السوسيولوجية.

ثالثا :أهمية البحث

تتمثل أهمية البحث في :

1. تزايد أهمية علم الاجتماع على مستوى العالم في البحث والتطوير التنموى
2. التعرف علي واقع الممارسات البحثية بقسم علم الاجتماع بجامعة تبسة ، لنستطيع أن نطور أدواره لكي يكون فاعلا تنمويا.
3. ضرورة تدارك الممارسات البحثية جدلية الكم و الكيف و اخذ ذلك بعين الاعتبار بدل من اتباع النمط التقليدي للبحث

رابعا : العينة ومجتمع البحث

تحدد مجتمع الدراسة بعدد من الاساتذة الدائمين الباحثين بقسم علم الاجتماع جامعة تبسه ،هذا وقد اختيرت عينة قصدية قوامها 37 أستاذ و أستاذة .

خامسا :المنهج المعتمد في الدراسة الميدانية

تفرض طبيعة هذا البحث الاعتماد على منهج البحث الميداني وذلك بالتركيز علي خبرات وأراء عينة من الأساتذة المشتغلين بالبحث العلمي الاجتماعي بقسم علم الاجتماع بجامعة تبسة.

سادسا: الأدوات المستعملة في الدراسة

تمثل التقنيات التي يستعين بها الباحث لجمع البيانات و المعطيات من ميدان الدراسة (ادوات جمع البيانات) على إنها أدوات يضعها المنهج في خدمة البحث[5]، إذ لا يمكن لأي تقنية من تقنيات البحث السوسيولوجي أن تدعي وحدها المقدرة على رصد كل مكونات الظاهرة المدروسة وعناصرها المتشعبة تداخلا وتعقيدا، لذلك اعتمدنا على "الاستمارة" كأداة رئيسية في لجمع البيانات, احتوت على عدة محاور أساسية تشكل في مجملها الإجابة على أسئلة الدراسة بالإضافة إلى "المقابلة" كأداة داعمة.

سابعا : البحث العلمي السوسيولوجي بين الكم و الكيف اية علاقة ؟

5مادلين غراويتز، منطق البحث في العلوم الاجتماعية، ترجمة: سام عمار، المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر، دمشق، ط1، 1993، ص11

1) مدخل مفاهيمي :

شكل ميلاد السوسيولوجيا انعطافا جديدا في تاريخ الإنسانية عامة، فمنذ ميلادها وإلى اليوم استطاعت أن تحقق تطورات ملفتة للنظر انطلاقا من مقاربتها لقضايا المجتمعات والشعوب خاصة، على اعتبار أنها ظلت في ارتباط مستمر بظواهر المجتمعات وإشكالاتها، وهذا ما جسده الباحث السوسيولوجي عبر خطابه من خلال اعتماده تقنيات وطرق البحث السوسيولوجي التي دافع بواستطها عن مشروعية التشريح والتقصي لأبرز التناقضات والعوائق الاجتماعية التي تعرفها المجتمعات على وجه الخصوص ،فالمشتغلون بالعلوم الاجتماعية هم جزء من المجتمع ومشكلة البحث العلمي والباحثين أيضا جزء من مشكلات المجتمع عامة6 ، فرغم ما تعاني منه العلوم الاجتماعية من عوائق ابيستمولوجية، نذكر على سبيل المثال لا علي سبيل الحصر، إشكالية الموضوعية، و تظاف إليها إشكالية المنهج المطروحة من خلال الثنائيات البارزة في هذا الشأن (نظري وتطبيقي)، (كمي و كيفي)...، فرغم الاختلاف القائم بين هذه الثنائيات إلا أن ليس هناك تفضيل منهج على آخر، لكل منهج وزنه حسب القضايا المطروحة، والإشكاليات السوسيولوجية المراد دراستها.

إن قضية المنهج، قضية أساسية داخل العلوم الاجتماعية ، يتحدث بوان كاريبه في كتابه science et méthode عن الجوانب المنهجية في العلوم قائلا"أن هناك فرق بين العلوم الصلبة والعلوم الاجتماعية، حيث العلوم الصلبة تتحدث عن نتائجها، بينما العلوم الاجتماعية تتحدث عن مناهجها، وأن في كثير من الأحيان تغرينا المناهج إلى حد ننسى النتائج، ونجعل النتائج غاية في ذاتها"... وتحدث عن نموذج علم الاجتماع قائلا"ذلك العلم الذي يضم أكبر عدد من المناهج، وأقل عدد من النتائج" [7]، وما يؤكد ذلك ان علم الاجتماع يعاني العديد من المشكلات المنهجية مثل مشكلة التنبؤ، مشكلة الكم والكيف، مشكلة الحتمية، مشكلة التجريب، مشكلة الموضوعية، المداخل الذاتية والمداخل والموضوعية، الأيديولوجيا والمنهج العلمي، التغيير المستمر في الظواهر الاجتماعية، تفرد الوقائع الاجتماعية، مشكلة التعميم وغيرها من المشكلات المنهجية .

2) اشكالية الكم والكيف في الدراسات السوسيولوجية

إذاتفحصنا علم الاجتماع الغربي نرى نزعة وضعية محدثة بما تتضمنه من تأكيد واضح للجوانب الكمية ولقد أشار لندبرج أن " القياس الكمي يعد ضرورياً إذا ما أراد العلم أن يقدم تحليلاً أكثر دقة للظاهرة التي يدرسها"، وأشار إلى أهمية قياس الاتجاهات، كما أنَّه أكد على الدور الذي تلعبه التعريفات الإجرائية وظهرت هذه الاتجاهات في الولايات المتحدة وتركيزها على أهمية استخدام الأساليب الإحصائية والرياضية المعتمدة في قياس الظواهر الاجتماعية والتنبؤ باتجاهاتها المقبلة، عاون على ذلك التقدم السريع في تكنولوجيا الآلات الحاسبة فضلاً عن تزايد علماء الاجتماع الذين اقتفوا أثر المدرسة الوضعية بتطبيقهم المنطق الرياضي التحليلي على القضايا المتعلقة بالحياة الاجتماعية [8]،ويرد بوتومور على المشكلة المنهجية السابقة بقوله أن علم الاجتماع يتناول ظواهر يصعب في الغالب قياسها أو تحديدها كمياً أو تصنيفها تحت علاقات عليه محددة ،ولكن هذا لا يعني اختلافاً جوهرياً في مناهج البحث وإنما يعني فقط مراعاة الحدود المفروضة على البحث السوسيولوجي، ومحاولة تبني نظرة أكثر واقعية إلى ما يستطيع هذا البحث السوسيولوجي تحقيقه.[9]،ونتيجة لهذه المشكلة المنهجية (الكم والكيف) نجد أن بعض الباحثين يتمسكون بالكم على أنَّه منهج ويحاولون الدفاع عن منهجهم هذا بشتى الطرق وأنَّه لا بديل عن هذا المنهج لعلم الاجتماع لكي يصل إلى قوانين علمية وتعميمات صادقة ولا يعترفون بأي دراسة للظواهر الاجتماعية إلا إذا كانت كمية. [10]وعلى الجانب الآخر نرى أن هناك الرأي الآخر

---

6 سعد الدين إبراهيم, علم الاجتماع وقضايا الانسان العربي, نحو علم اجتماع عربي, دار المعارف, القاهرة, 2001 ، ص 199

7 صلاح عثمان،النموذج العلمي من الخيال الى الو اقع (بحث في منطق التفكير العلمي)،الناشر للمعرف ،مصر،2001،ص 143 .

8 عبد الباسط محمد حسن، أصول البحث الاجتماعي، ط 11، مكتبة وهبة، القاهرة، 1990، ص125

9 بوتومور، تمهيد في علم الاجتماع، ترجمة محمد الجوهري وآخرون، الطبعة الخامسة، دار المعارف، ط5، 1981، ص70

10 بوتومور، تمهيد في علم الاجتماع، ترجمة محمد الجوهري وآخرون، الطبعة الخامسة، دار المعارف، ط5، 1981، ص75، مزيد من التفاصيل انظر:

- Nachmias, David and Nachmias, chavo, Research Methods in Social Sciences, St. Martins Press, New York, 1976.

الذي يتمسك بالكيف على أنَّه منهج ويقول أن هذا المنهج هو الوحيد الذي يراعي العلوم الاجتماعية واختلاف موضوعاتها غير القابلة للقياس والتكميم عن موضوعات العلوم الطبيعية التي يمكن تطبيق الإحصاء على ظواهرها وقيام علاقات كمية ويستندون في ذلك إلى أن علم الاجتماع استطاع باستخدام هذا المنهج الوصول إلى قوانين وتعميمات بدون استخدام المنهج الكمي ،ولعل ما أشار إليه رايت ميلز في كتابه الخيال السوسيولوجي يثبت أهمية هذا الإشكال المنهجي الذي تعرفه السوسيولوجيا، عندما يؤكد على ضرورة التفاعل الجدلي بين خطوات المنهج السوسيولوجي، فمن يفكرون ينظرون بلا ملاحظة ،بحث ومنهج ، ومن يلاحظون بلا فكر، كل منهما لا يصل إلى حقائق دقيقة ذات معنى، لذلك يتحول البحث في الكثير من الأحيان إلى تجريدات غير مبرهنة أو إلى مجموعة من البيانات فاقدة للروح والمعنى[11].

ثامنا : نتائج الدراسة الميدانية

وفيما يلي نعرض لنتائج الدراسة الميدانية في إجابتها على السؤال الأساسى للبحث وأسئلته الفرعية.

اولا : الموضوعات الأساسية التي تثيرها الدراسات في علم الاجتماع والنمط الغالب عليها من وجهة نظر أساتذة قسم علم الاجتماع بجامعة تبسة

تنوعت الموضوعات البحثية بتنوع تخصصات أفراد العينة أو حسب اهتماماتهم الشخصية وغابت القضايا الوطنية الكبرى, وفي هذا الصدد تؤكد الأبحاث أن تجزئة القضايا الاجتماعية ودراستها كمشكلات في حد ذاتها ما سمي بعلم الاجتماع الجزئي أو علم الاجتماع العلاجي الذي يتحسس موضع المرض فقط وتفريغها من محتواها السياسى الفعلي جعل الباحثين يدرسونها على نفس نمط" بارسونز وميرتون" ضمن وظيفة محافظة تصنف وتفسر الظواهر الاجتماعية وأنماط السلوك بالدور الذي تلعبه في حفظ النظام العام12 ،يدعم ذلك نوع البحوث السائد، ويوضح الجدول التالي ذلك.

جدول رقم (1)

نوع الدراسات و الموضوعات السائدة التي تثيرها الدراسات السوسيولوجية بجامعة تبسة

نوع البحوث	السبب	ك	%
بحوث وصفية يغلب عليها الجانب النظري	إعداد هذه البحوث لا يحتاج إلى جهد علمي كبير	15	40,53
بحوث ميدانية	مواجهة بعض المشكلات المجتمعية الراهنة	5	13,50
بحوث مستقبلية	الموضوع من موضوعات الساعة لمسايرة العصر ومواكبه حركة التقدم	3	8,15
بحوث فردية	للحصول على درجة الماجستير, الدكتوراه	10	27,02
التقليد والتكرار	عدم التواصل بين المؤسسات العلمية و غياب خريطة للبحث العلمي السوسيولوجي بالهيئة الوصية	4	10,80
المجمـــــوع		37	100

يتضح من الجدول أن غالبية البحوث يغلب عليها الطابع الوصفي وقد أشار إلى ذلك 40,53% من عينة الدراسة مؤكدين على أن السبب الأساسى يتمثل في أنها ترتبط بالوضع الوظيفى ويؤكد ذلك نتائج بعض الأبحاث التى تشير إلى سهولة إجراء البحوث الوصفية

11 عبد الباسط عبد المعطى, إنتاج المعلومات السوسيولوجية : المهام والتحديات, مؤتمر الأدوار المستقبلية لعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا فى مصر, 13- 14 مايو, المجلس الأعلى للثقافة, القاهرة, 1998 ،ص ص 45- 46 .

12سعد الدين إبراهيم, علم الاجتماع وقضايا الانسان العربي, نحو علم اجتماع عربي, دار المعارف, القاهرة, 2001 ، ص 76.

حيث أن التقليد الشائع هو القنوع بوصف الظواهر التى تطرح للدراسة أو البحث وعدم الاهتمام بالتفسير والفهم و التنظير ، على غرار المقابلة التي اجريت مع عينة من الاساتذة المشرفين على اطروحات الدكتوراة و رسائل الماجستير تبين ان مستوى البحوث لا تشخص و تعالج مواضيع الساعة الراهنة للمجتمع واصفة إياها بأنها تفتقد إلى التنظير والدقة المنهجية وهى بحوث سريعة في انجازها وتأتى لتلبية الحاجات العلمية والمادية الضرورية للباحث العلمي, ومن ثم فهي لا تقدم جهداً تصورياً يفسر النتائج التي يتوصل إليها الباحث، وهذا يتسق مع أن نوع البحوث الغالبة هي البحوث الوصفية التي لا تتطلب توافر الخيال والقدرة على الخلق والإبداع ،وتشير نتائج الدراسات إلى أن الأزمة لا تكمن في نقص علمية العلم وإنما في اختيار مداخل منهجية قاصرة, واستعمال أساليب بحث وأدوات جمع معلومات معيبة بطريقه غير سليمة, وارتكاب أخطاء كثيرة في ممارسة البحث, والتفريط في الوظيفة التنظيرية للعلم, بالإضافة إلى سوء الفهم والخلط 13 ،هذا يدعونا إلى التعرف على إعداد الباحثين وتنمية قدراتهم ويوضح الجدول التالي ذلك.

السؤال الثاني : اشكالية التكوين الذاتي للممارسات البحثية للباحث بين النمطية و التجديد من وجهة نظر أساتذة قسم علم الاجتماع بجامعة تبسة

جدول رقم (2)

التكوين الذاتي للممارسات البحثية للاساتذ الباحثين بين النمطية و التجديد

الاحتمالات	ك	%
مواكب الباحث الأدبيات العربية والأجنبية الحديثة عند إعداده للدراسة.	20	54,05
قصور مهارات الباحثين في التعامل مع شبكة الانترنت وتدنى مستوى اللغات .	12	32,43
الاطلاع على مؤتمرات أو لقاءات علمية دولية حول موضوع الدراسة	5	13,52
المجموع	37	100

يتضح من الجدول أن معظم الباحثين لا يتابعون الجديد في مجال تخصصاتهم بالصورة المرغوبة, حيث جاءت عبارة عدم توفر المراجع الحديثة بنسبة 54,05 % ،ثم تليها قصور مهارات الباحثين في التعامل مع شبكة الانترنت وتدنى مستوى اللغات في المرتبة الثانية بنسبه32,43 % و جاءت الاطلاع على مؤتمرات أو لقاءات علمية دولية حول موضوع الدراسة في المرتبة الثالثة بنسبه 13,52 % ،و يرجع ذلك إلى أن استمرارية الاطلاع على الجديد فى مجال العلم مشاركة نشيطة من أشخاص يتصفون بالكفاءة ويهتمون بمتابعة الأمور العلمية، ولكن هذا الدعم للعلم لا يتحقق إلا إذا توافرت الظروف الثقافية المواتية ،والملاحظ أن بعض الباحثين قد يكتسب مهارات منهجية وخبرات ميدانية خاصة وهم يعدون أطروحتي الماجستير والدكتوراه ،ولكن بمجرد الحصول على الدكتوراه فان معظمهم ينصرف إلى التدريس وتأليف الكتب الدراسية, وكأن الحصول على الدكتوراه يعنى" نهاية الانتاج المعرفي" نهائيا أو القطيعة مع العمل الميداني, الذي هو أساس لا غنى عنه لفهم الواقع ، وهذا هو ما يفسر جزئيا على الأقل هزال المعرفة السوسيولوجية رغم التضخم المؤسسي،و في نفس السياق اكد الاستاذ الدكتور علي الكنز على "عدَم وُضوح الرؤية في النظرية والمنهج عند رجال الاجتماع في بلادنا، و ان الباحثون يُعانون من عدم وضوح الرؤية في النظرية وفي البحث المنهجي، فهم يَميلون في مُعظَم الأحيان إلى نقْد كلّ ما يُطرَح في المجتمعات الغربيَّة دون التوصُّل إلى نظريَّةٍ للمجتمع العربي، وإنَّ إشكاليَّات بحوثهم تَكمُن في أنها لا تمتُّ بصلةٍ إلى الواقع المجتمعي العربي"[14]،

السؤال الثالث : اشكالية الخطاب السوسيولوجي للدراسات الاكاديمية المنجزة بالجامعة بين الكم و الكيف من وجهة نظر أساتذة قسم علم الاجتماع بجامعة تبسة ؟

13 يوسف يعقوب وآخرون, مقومات ومعوقات البحث العلمى فى دولة الكويت (ندوة), المجلة العربية للعلوم الانسانية, مجلس النشر العلمى جامعه الكويت,1997, ص164.

14محمد عزت حجازى, الأزمة الراهنة لعلم الاجتماع فى الوطن العربي, نحو علم إجتماع عربي, مركز دراسات الوحدة العربية, بيروت, 1986 ، ص 383.

إن السعي إلى تأكيد مشروعية المناهج البحثية يشغل بال العديد من الباحثين، فالباحثون الذين يستخدمون أشكالاً مختلفة من البحوث مهتمون بتأكيد مشروعية عملهم، ويثير هذا الاهتمام ولو بصورة جزئية الجدل القائم حول طبيعة فهمنا البشري والكيفية التي نصل فيها إلى معرفة هذا العالم، وفي الظروف الطبيعية يقود هذا الجدل إلى نقاشات ناقدة مفيدة تحسِّن من إجراء البحوث، ولكنَّ هذا الجدل يعكس في كثير من الأحيان من المعاني أكثر مما يبدو في ظاهر الأمر، ويخفى في طياته صراعاً سياسياً وتنافساً على المواقع الأكاديمية أو احتكاراً لها.

وهكذا توصف بعض المناهج البحثية بأنها أفضل، وأدق وأكثر علمية، بينما تُهمَّشُ مناهج بحثية أخرى وتوصف بأنها ضعيفة، صحفية، لا تستند إلى نظرية..الخ، لكن و من خلال استجابة مفردات عينة الدراسة للسؤال المفتوح رقم 3 تبين ان اغلبهم يرتكز الى ثنائية الكم و الكيف كتقنيات اجرائية لاعداد الدراسات تتارجح بين بناء موضوع الدراسة ومحدداته المعرفية و الاجرائية و خطوات تطبيق المنهج الميداني ! هنا تكمن اشكالية التصلب المفاهيمي و الذي يعمل على تراجع التطور المعرفي للممارسات البحثية في حقل علم الاجتماع .

أن الكم والكيف ليس منهجين بل هما" أسلوبان متمايزان في البحث السوسيولوجي الاكاديمي يختار الباحث منهما ما يراه مناسباً لبحثه من الناحية العلمية ،ويمكن في بعض البحوث الجمع بينهما حتى تتم الفائدة بالحصول على ميزة كل منهما،ولكن هذا الجمع بينهما لا يضع أسلوباً ثالثاً لأنه ليس مزجاً ينتج عنه أسلوب يختلف تماماً عن الأسلوب الكمي والأسلوب الكيفي،"[15] وكما أنَّه من الخطأ اعتباره منهجاً كما هو شائع بينهم

هذه مشكلة منهجية لا مبرر لوجودها أصلاً، فالبعض يرى أن الدقة في العلوم الطبيعية مرجعها إلى صورتها الرياضية لأن من اليسير قياس مقاديرها الكمية ولابد لكي تصبح العلوم الاجتماعية – علوماً – تحويل مفاهيمها الكيفية إلى كمية حتى يمكن قياسها ويتهمون العلوم الاجتماعية بأنها غير دقيقة لأن موضوعاتها ليس من اليسير إخضاعها للضبط الكمي ويستحيل تصويرها بالمعادلات الرياضية الدقيقة ، وما يدعم هذا الطرح ما اكده الاستاذ الدكتور محمد عزت حجازي - الخبير بالمركز القومي للبحوث الاجتماعيَّة والجنائيَّة بالقاهرة – بقول :"... ولهذا تنتَهِي مُعظَم الدراسات والبحوث الاجتماعيَّة بعددٍ يكونُ هائلاً في بعض الحالات من الجداول، تتوزَّع فيها المعلومات أو المادة الميدانيَّة، ويُعلق عليها بوصفٍ مُوجَز يُلخص ما يتضمَّنه كلُّ جدول، وقد تُضاف فقراتٌ تُشِير إلى الاتِّجاهات العامَّة التي تنطَوِي عليها المادَّة الميدانيَّة، ويأتي ناتج الجُهد هَزِيلاً لا يُضِيف كثيرًا، وقد لا يُضِيف شيئًا إلى ما يَعرِفه الإنسان المثقَّف - بل العادي - عن موضوع البحث" [16]

تاسعا : النتائج العامة

يُعد التعليم العالي القاعدة الأساسية لترسيخ دعائم التقدم العلمي ولدفع مسيرة التنمية الاقتصادية والاجتماعية في المجتمع ،وقد حدثت تطورات وتغيرات جذرية وبنيوية في قطاع التعليم العالي ويظهر ذلك في زيادة عدد الجامعات والكليات وأعضاء هيئة التدريس وطلاب الدراسات العليا والطلاب الخريجين ، الذي أدى بدوره إلى بناء القاعدة البشرية اللازمة للتعليم والبحث العلمي في الجامعات ومراكز البحوث العلمية ،حيث أن أهداف البحث العلمي كثيرة ومتشعبة ، بعضها يختص بإثراء العلم والمعرفة والإضافة إلى التخصص الدقيق للباحث ، وبعضها موجه لتطوير الحلول العلمية والعملية للمشكلات التي تواجه المجتمع ،وتعمل على نقل وتوطين التقنية وتطويرها وتطويعها لتلائم الظروف المحلية وتساعد في تحقيق أغراض التنمية المختلفة ، وعلى الرغم من أن البحث العلمي يُعد من أهم مقومات التقدم والتطور الحضاري للمجتمع ،إلا أن واقع البحث العلمي عامة و البحث السوسيولوجي خاصة لا يزال دون المستوى المطلوب و يعود ذلك الى أن ما عرض له المشتغلون بالعلم (الاساتذة الباحثين في حقل علم الاجتماع بقسم علم الاجتماع جامعة تبسة) في الدِراسة والبحث تبين انها عالجت موضوعات أو مشكلات يفتقر الكثير منها إلى عنصر المعاصرة؛ أي: إنه تقليدي تجاوزته حركة البحث والتفكير، هذا من ناحية، وهو من ناحية أخرى بعيد عما هو محوري في النظام

15 خميس طعم الله،مناهج البحث و ادو اته في العلوم الاجتماعية (تصدير عبد الوهاب بوحديبة)،مركز النشر الجامعي ،تونس ،2004،ص40 .

16 محمد عزت حجازى, الأزمة الراهنة لعلم الاجتماع فى الوطن العربي, نحو علم إجتماع عربي, مركز دراسات الوحدة العربية, بيروت, 1986 ص 28

الاجتماعي وحيوي لحياة الفرد كفاعل اجتماعي ، اما بالنسبة لإشكالية المنهج في علم الاجتماع ، لا تكمن الأزمة في في نقص علمية العلم، وإنما في اختيار مداخل منهجية قاصرة، واستعمال أساليب بحث وأدوات جمع معلومات مَعِيبة بطريقة غير سليمة، وارتكاب أخطاء كثيرة في ممارسة البحث، والتفريط في الوظيفة التنظيرية للعلم، هذا فضلا عن شيء غير قليلٍ ولا هين من سُوء الفهم والخلط ،بالاضافة فقدان الثقة والفجوة بين متخذي القرار والمتخصصين في علم الاجتماع، وأنه قلما يُستدعي المتخصصون في علم الاجتماع للمشاركة في تحليل القضايا التي تواجهها المجتمعات، أو حتى في حدود البحوث التي تجريها مؤسسات علمية رسمية، وأن الإفادة منهم تكون في أضيق نطاق

مراجع الدراسة:

1. سعد الدين إبراهيم, تأمل الافاق المستقبلية لعلم الاجتماع فى الوطن العربي : من إثبات الوجود إلى تحقيق الوعود, نحو علم إجتماع عربي نحو علم اجتماع عربي"، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 1986.
2. خميس طعم الله،مناهج البحث و ادواته في العلوم الاجتماعية (تصدير عبد الوهاب بوحديبة)،مركز النشر الجامعي ،تونس ،2004.
3. محمد عزت حجازى, الأزمة الراهنة لعلم الاجتماع فى الوطن العربي, نحو علم إجتماع عربي, مركز دراسات الوحدة العربية, بيروت, 1986 .
4. يوسف يعقوب وآخرون, مقومات ومعوقات البحث العلمى فى دولة الكويت (ندوة), المجلة العربية للعلوم الانسانية, مجلس النشر العلمى جامعه الكويت,1997.
5. سعد الدين إبراهيم, علم الاجتماع وقضايا الانسان العربي, نحو علم اجتماع عربي, دار المعارف, القاهرة, 2001 .
6. بوتومور، تمهيد في علم الاجتماع، ترجمة محمد الجوهري وآخرون، الطبعة الخامسة، دار المعارف، ط5، 1981.
7. عبد الباسط عبد المعطى, إنتاج المعلومات السوسيولوجية : المهام والتحديات, مؤتمر الأدوار المستقبلية لعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا فى مصر, 13- 14 مايو, المجلس الأعلى للثقافة, القاهرة, 1998
8. عبد الباسط محمد حسن، أصول البحث الاجتماعي، ط 11، مكتبة وهبة، القاهرة، 1990.
9. مادلين غراويتز، منطق البحث في العلوم الاجتماعية، ترجمة: سام عمار، المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر، دمشق، ط1، 1993.
10. سعد الدين إبراهيم, علم الاجتماع وقضايا الانسان العربي, نحو علم اجتماع عربي, دار المعارف, القاهرة, 2001 .
11. أحمد زايد, علم الاجتماع بين الاتجاهات الكلاسيكية والنقدية, دار المعارف, القاهرة, 1984.
12. مختار الهراس، دوريات العلوم الاجتماعية : مناهج ،مداخل ومقاربات ،المجلس العربي للعلوم الاجتماعية ، لبنان ،2015.
13. محمد بامية، العلوم الاجتماعية في العالم العربي :اشكال الحضور،المجلس العربي للعلوم الاجتماعية ، لبنان ،2015 .
14. صلاح عثمان،النموذج العلمي من الخيال الى الواقع (بحث في منطق التفكير العلمي)،الناشر للمعرف ،مصر،2001.
15. التقرير الإقليمي لليونسكو عن "إنجازات التعليم العالي في البلدان العربية وتحدياته"، الصادر على هامش المؤتمر الإقليمي العربي حول التعليم العالي، المنعقد في القاهرة، في الفترة من 31/5-2/6/2009. الرابط الإلكتروني للتقرير:

http://www.unesco.org/new/fileadmin/MULTIMEDIA/FIELD/Beirut/pdf/Regional_Report_on_Higher_Education_in_the_Arab_States__Arabic_-_Final_